عوامل انتشار الإسلام في بلاد السودان:

يعد دخول الدين الإسلامي إلى إفريقيا من الأحداث المهمة في تاريخها، ومم ميز المسلمين عن غيرهم من الوافدين في نظر الأفارقة كون المسلمين كأصحاب رسالة منطلقين من قوله صلى الله عليه وسلم "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح"، ولم تكن الصحراء الكبرى الفاصلة بين إفريقيا العربية، وإفريقيا السوداء الغربية، حاجزا يقف دون نشاط العرب المسلمين في أداء رسالتهم الحضارية الإنسانية.

وقد عرفت إفريقيا الإسلام لأول مرة إبان البعثة النبوية التي سبقت الهجرة، حين أشار النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين بأن يتفرقوا في الأرض بعدما ذاقوا الأذى والتعذيب والقتل من قريش، فلما سألوه أين نذهب نصحهم بالذهاب إلى الحبشة لأن بها ملك لا يظلم عنده أحد.

ولم يكن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا مرتبطًا بعامل واحد، بل كانت هناك عوامل شتى، وأدوار متعددة وطوائف متنوعة يرجع إليها الفضل بعد الله تعالى في انتشار الإسلام، وسأحاول أن أتطرق لأهم المحاور التي ساعدت في إنتشار الإسلام في السودان.غ.، ودور المشارقة والمغاربة في ذلك.

وأهم عامل في الفترة الأولى تمثل في الفتوحات الإسلامية، التي بدأت على يد عقبة بن نافع في الصحراء الليبية وأقاليمها الجنوبية، حيث تذكر المصادر انه وصل إلى وسط الصحراء الكبرى سنة 56هـ/666م، وتوغل نحو الجنوب إلى أن وصل منطقة ودان، فافتتحها سلما ثم واصل سيره نحو الجنوب حتى وصل إلى قصور فزان وافتتحها هي الأخرى، ليتوقف عن سيره عند إقليم فزان بمنطقة "ماء الفرس"، أما في ولايته الثانية فقد تنقل إلى بلاد السوس، حتى وصل إلى تارودانت وكان ذلك سنة 62هـ/681م، لقتال من بها من صنهاجة الملثمين.

وبالإضافة الى الفتوحات التي قام بها عقبة بن نافع نجد النفوذ الإسلامي إلى افريقيا جنوب الصحراء على عهد الأدارسة والذي كان اقل حجما من سابقه، إذ لم تذكر المصادر

التاريخية عنه معلومات وافرة سوى بعض التلميحات التي نجدها في رواية الإدريسي، التي تذكر أن ملوك غانة هم من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي المقابل نجد أن ابن خلدون نفى هذه الرواية، وبعد وفاة عبد الله بن ياسين ويحي بن عمر تولى زعامة المرابطين أبو بكر بن عمر اللمتوني، الذي كان هدفه هذه المرة جهاد ملوك غانة الوثنيين لكن هذه المبادرة لم تستمر خصوصا بعد استشهاد أبو بكر بن عمر سنة 480هـ/1087م.

وما يمكن استنتاجه من نشاط المرابطين في الصحراء، أنهم وفقوا بين الحركة الجهادية والدعوة الإسلامية من خلال ربطاتهم المنتشرة عبر الصحراء، كما يعود لهم الفضل في نشر المذهب المالكي في السودان.غ.، هذا دون إغفال دور الفتوحات الإسلامية في عهدها الأول، وكذلك نشاط الأدارسة والرستمين قبلهم.

وفيما يخص الموحدين هم الآخرون ساهموا في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، خلال ق:6هـ/12م، سيما بعد أن استتب لهم أمر المغرب الإسلامي،حيث مدوا نفوذهم من طرابلس الغرب شرقا حتى مملكة غانة وصولا إلى قلب القارة الأفريقية بمملكة الكانم،كما توغلوا نحو حوض سنغال ثم اتجهوا إلى الجنوب الشرقي من افريقيا حتى منطقة الفولتا.

كان للتجار المغاربة والتجار اليمنيون (الحضارمة) دور رئيسي وهام في نشر الإسلام بالمنطقة، فكانوا يتاجرون ويدعون الى نشر الإسلام، بالنسبة للحبشة يعود الفضل الأكبر في نشر الإسلام فيها لطائفة من التجار المسلمين نشأت في مدينة قومر المصرية تألفت من مهاجرين من أهل التكرور وبعض الهنود والعرب وقد أخذت لنفسها اسم الكارمية او الكانمية نسبة الى بلاد الكانم، حيث جعلة من أنفسهم دعاة للسلام الى جانب انشغالهم بالتجارة واسلم على أيديهم الكثير من القبائل ودخل الإسلام الى الصومال وكينيا وتنجانيقا، اما بالنسبة للسودان الأوسط والغربي فكانت الطرق التجارية هي أيضا المسالك الحقيقية التي تسرب منها

الإسلام إلى قلب الصحراء وما وراءها ، فقد كان التاجر المغربي المسلم في تنقله بين مختلف المراكز التجارية يحتك بالأفارقة ويؤثر فيهم بسلوكه الشخصي وأمانته، وخلقه الإسلامي ما جعله محل ثقة السكان، فوفر له ذلك القبول الحسن لديهم، حيث كان ما ان يدخل المدينة حتى يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام صلاته وعبادته وهو ما لم يألفه السكان من قبل، ومن جهة اتسمت المعاملات التجارية للمغاربة بالنزاهة والأمانة وعدم تعاملهم بالربا وأكل الأموال بالباطل وعدم إيفاء الكيل والميزان، الأمر الذي جعل المشتري الوثني يستحسن المبادلات التجارية بينه وبين التاجر المغربي، والتي كانت في الغالب تنتهي بأن يصبح الإفريقي الوثني من المؤلفة قلوبه م ويعتنق الإسلام، وقد عبّر "ترمنجهام" عن الصلة المهمة بين الإسلام والتجارة بقوله: "إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير".

ومن جهة أخرى كان للقوافل التجارية دور مهم في نشر الإسلام بالمنطقة حيث كان من العادة أن ينضم إليها الفقهاء والعلماء يحملون معهم أفكارا جديدة عن الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما وصلت إليه هذه البلدان من حضارة وتقدم في ظل الإسلام، وكثيرا ما كان يعمل هؤلاء الفقهاء على تثقيف الناس في أمور دينهم.

أما عن الدور الذي لعبته الهجرات العربية بعد أن أخذ التيار الأول للهجرة العربية بعد الفتح الإسلامي بالانتشار من الشمال إلى الجنوب، ثم زادت هذه النسبة بعد الفتنة الكبرى التي عصفت بالمجتمع الإسلامي، حيث زاد عدد المهاجرين المسلمين الفارين من نقمة النظام الاموي والصراع على السلطة في شرق افريقيا، حيث وصلت هاته الهجرات إلى غاية بحيرة تشاد، وقد ذخلت القبائل المهاجرة في صراع مع القبائل السودانية المقيمة بالمنطقة بهدف السيطرة عليها واستطاعوا أن يكوّنوا قوة سياسية وحربية، وقد سلكت هذه الهجرات ثلاث طرق رئيسة للوصول إلى افريقيا جنوب الصحراء:

-اتجاه الشمالي شرقي يربطها ببلاد مصر.

-اتجاه شمالي يربطها ببلاد المغرب الإسلامي (الأدنى والأوسط والأقصى).

- اتجاه شرقي يربطها بالسودان الشرقي ونهر النيل في شرق القارة الإفريقية.

ومن الهجرات العربية التي نظمت الى السودان.غ. ما يلي:

-كان لهجرات بني هلال وبني سليم لبلاد المغرب.ع. دافعا وسببا في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة الصحراء، وتوغلها نحو الجنوب إلى منطقة السنغال والنيجر، ويرى بعض المؤرخين أن هوارة ولواتة ونفزاوة هاجرت نحو الجنوب بعد قدوم الهجرات الهلالية مباشرة، كما هاجر الطوارق إلى منطقة النيجر والسنغال وظلت هجراتهم تؤثر في هذه الجهات حتى ق:12هـ/18م.

- هجرات مجموعة الحساونة التي جاءت إلى افريقيا جنوب الصحراء عن طريق شمال إفريقيا خلال القرنين 5-6هـ/9-10م وهي تضم عددا كبيرا من القبائل نذكر منها: الأصعالي، والدقنة وهجرات مجموعة (جهينة) والتي جاءت إلى السودان الاوسط عن طريق السودان.غ. خلال القرنين7-8هـ /13-14م، وهي تضم عددا كبيرا من القبائل أكبرها: السلامات وأولاد راشد والحيماد والحريكة والجعاتني وخزام ، وبني هلبة ، وهي تنتسب إلى الجنيد بن شاكر بن أحمد الأجزم بن راشد ، الذي يلتقي نسبه بعبدالله الجهني بن العباس، وقد ظلت الهجرات العربية تغذي المنطقة بدماء عربية اسلامية حتى العصر الحديث، ومثال ذلك أولاد سليمان الذين هاجروا من ليبيا إلى منطقة التشاد في الفترة ما بين:1255-1348هـ/1840-1930م.

أما في ما يخص الطرق الصوفية، سوف أذكر أهمها خاصة التي ساهمت في انتشار الإسلام بالسودان.غ.:

- **الطريقة القادرية:** التي شكلت من الناحية الدينية همزة وصل بين العالم الإسلامي والسودان.غ. باعتبارها أول طريقة وطأت أرض إفريقيا الغربية ، وقد عاش الكثير من دعاة

القادرية بين الشعوب الوثنية التي رحبت بهم باعتبارهم فقهاء متعلمين، فكانوا يدعون إلى الدين والعلم معا، ويرسلون من يود المزيد من العلم إلى الحواضر الثقافية بشمال إفريقيا كطرابلس الغرب، وفاس وتلمسان وأحيانا حتى القاهرة.

–الطريقة التيجانية: كان لها أكثر من دور خاصة في غرب إفريقيا، بحيث لم يقتصر دورها على الجانبين الديني والاجتماعي فقط، بل تعداه ليشمل ميادين أخرى منها الميدان السياسي، والذي ساهمت فيه بظهور عدد من الدويلات والإمارات التي استندت أساسا على تعاليم ومبادئ التيجانية فيما بعد.

– الطريقة السنوسية: عملت في السودان ونافست الطريقتين السابقتين القادرية والتجانية، واستطاعت في وقت وجيز أن تقضي على روح العداء والتنافس الذي كان سائدا بين القبائل فيما بعد، بل كان لها نشاط ودور ملحوظ في نشر تعاليم السنوسية ومقاومة تجارة الرقيق، حيث عمل الشيخ السنوسي على شراء الرقيق وتعليمهم في زاويته "بجغبوب" بالصحراء الليبية، ومن ثم يعملون كدعاة لدين الإسلامي.

كذلك لعب الدعاة والفقهاء العرب المسلمين الذين قدمو إلى المنطقة من شمال إفريقيا ومصر، دوراهاما في نشر الإسلام والثقافة العربية في ربوع تلك المنطقة، وقد إلتحق كثير منهم بالملوك والأمراء وعملوا في خدمتهم، وحببوا إليهم الدين الجديد أمثال المهندس الساحلي والفقيه عبد الرحمن التميمي اللذان عملا في خدمة مملكة مالي، وأما عبد الكريم المغيلي قد عمل في مملكة الصنغاي، وبهذا نستطيع أن نفسر إيمان بعض الملوك والأمراء بالدين الحنيف قبل أن يعتنقه سواد الشعب الذي عمل فيما بعد على تقليد الملك، كذلك جهود عثمان دان فودي والحاج عمر وأولاده في نهر النيجر فيما بعد خلال ق:13هـ/19، في توحيد البلاد في ظل الإسلام ليجابهوا الإستعمار الأوروبي.

وإذا تحدثنا عن الإسلام وأهم ممالك السودان .غ.، فإننا نخص الذكر إمبراطورية غانا التي كانت وثنية لما ذخلها الإسلام في النصف الثاني من ق: 5هـ/11م، وصارت إمبراطورية

ذات صبغة إسلامية وبعد فلول نجم إمبراطورية غانا ذات الوجود الإسلامي الكثيف، قامت على آثارها إمبراطورية أخرى هي مملكة مالي(1225هـ/1488م)، التي ساعدت على نشر الإسلام وحضارته، وذهب بعض ملوكها إلى بيت الله الحرام، من أشهرهم السلطان منسي موسى الذي مر بمصر عام 724هـ/ 1324م، وكان هذا السلطان من دعاة الإسلام حيث إمتد بدولته إلى النيجر، بل إخترق الصحراء وتوغل في المنطقة الإستوائية جنوبا، وبعد إنتهاء هذه الدولة الإسلامية قامت على أنقاضها مملكة أخرى هي مملكة الصنغاي التي حملت هي الأخرى لواء الإسلام.

وفي الأخير إن موضوع انتشار الإسلام في البلدان الإفريقية ينبغي أن يحتل مكانا رئيسا في التاريخ الأفريقي وتاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث لأسباب عديدة من بينها ارتباط العالم العربي بالقارة الأفريقية في عصور مختلفة من التاريخ، وامتزاج الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات المتعددة للشعوب الإفريقية، وسرعة الاندماج بين شعوبهما وتاريخهما الحافل، مما جعل العالم العربي المغاربي والإفريقي أقرب إلى التضامن والتوحد والتداخل الحضاري تحت راية الإسلام، ومع ذلك فإن إبراز طبيعة العلاقات العربية الإفريقية لا تزال تكتنفها صعوبات، في مقدمتها فقدان الكثير من المصادر والسجلات العربية وغلبة المصادر الأجنبية التي كان قصدها التشويه المتعمَّد لتاريخ العرب والإسلام في أفريقيا